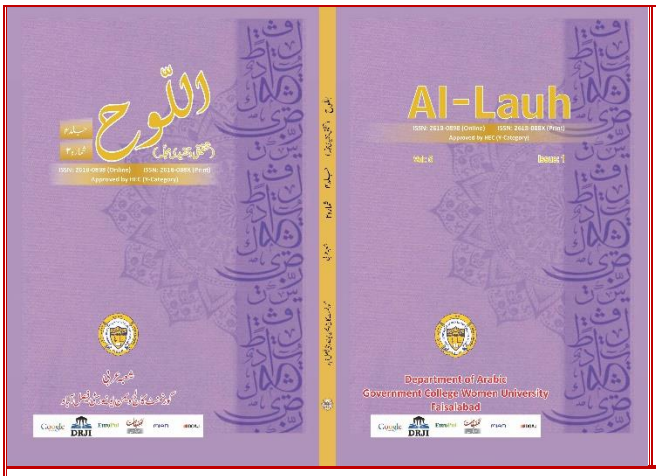

OPEN ACCESS

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Al-Lauh

Bi-Annual, Trilingual (Arabic, English, Urdu) ISSN: (P) 2618-088X. (E) 2618-0898

Project of **Govt. College Women University Faisalabad,**

Madina Town, Faisalabad, Pakistan.

Website: www.allauh.com

Approved by Higher Education Commission Pakistan

Indexing: Euro Pub, Journal Factor, DOAJ, DRJI, Urdu Jaraid, Asian Research Index

TOPIC

الخصائص الفنية والجماليات الأسلوبية في شعر إبراهيم طوقان: دراسة تحليلية

Artistic Characteristics and Stylistic Aesthetics in the Poetry of Ibrahim Tuqan: An Analytical Study

AUTHOR

1. Dr. Mumtaz Ahmad Sadidi Assistant Professor Minhaj ul Quran International Lahore.
2. Dr Iftikhar Ahmed Assistant Professor Government College University Fasialabad.

How to Cite: https://allauh.pk/

https://allauh.pk/index.php/allauh/issue/view/4

Vol. 5, No.1 || January to June 2026 ||

Published online: 30-06-2026

الخصائص الفنية والجماليات الأسلوبية في شعر إبراهيم طوقان: دراسة تحليلية

Artistic Characteristics and Stylistic Aesthetics in the Poetry of Ibrahim Tuqan: An Analytical Study

د. ڈاکٹر ممتاز أحمد سديدی[1] ڈاکٹر افتخار احمد[2]

Abstract:
This study presents an analytical examination of the poetry of the Palestinian poet Ibrahim Tuqan (1905–1941) and its profound influence on the development of modern Palestinian literature. It also reviews the major milestones of his life, as well as his intellectual and creative journey. The research explores the artistic and intellectual characteristics of his poetry through an analytical and critical approach, examining selected examples of his patriotic, romantic, emotional, and social poems. It further highlights his pioneering role in transforming Palestinian poetry from a form of personal expression into a vehicle of collective national commitment. The study concludes that Ibrahim Tuqan successfully combined fidelity to the traditional Arabic poetic form with innovation in rhythm, imagery, and meaning, producing poetry that was both sincere and deeply connected to the emotions and aspirations of the Palestinian people. The findings also reveal that his personal suffering and chronic health challenges endowed his poetry with exceptional expressive power, transforming it into a unique human and national document. Furthermore, the study demonstrates that Tuqan established a multidimensional discourse of poetic resistance that extended beyond political concerns to encompass social, humanistic, and existential dimensions.

Keywords: Ibrahim Tuqan, Palestinian poetry, resistance literature, patriotic poetry, literary criticism, Palestine, modern Arabic poetry.

تحتل مأساة فلسطين مكانةً محوريةً في الوجدان العربي والإسلامي، ليس بوصفها بقعةً جغرافيةً فحسب، بل بوصفها رمزا للهوية والمقاومة والأمل. وقد أنجبت هذه الأرض المباركة عددا من الأدباء والشعراء الذين حملوا قضيتها على أكتافهم، وجعلوا من الكلمة سلاحا في وجه الاحتلال والظلم. وقد وقف إبراهيم طوقان في طليعة هؤلاء الشعراء ، الذي يعدّ بإجماع النقّاد أحد المؤسسين الحقيقيين للشعر الفلسطيني الحديث.

لا تنبع أهمية شعر إبراهيم من قيمته الجمالية والفنية فحسب، بل تظهر من كونه يمثّل مرحلة تأسيسية في تاريخ الأدب الفلسطيني، حين كانت القصيدة تتشكّل على وقع الأحداث السياسية والاجتماعية الكبرى: من الانتداب البريطاني إلى وعد بلفور، ومن الهجرة اليهودية إلى الثورات الشعبية. ولقد استطاع إبراهيم أن يصوغ من هذه الأحداث مادةً شعريةً حيةً تتجاوز حدود الزمان والمكان، لتخاطب الإنسان في كل عصر ومصر.

ويستند هذا البحث إلى منهج تحليلي وصفي يقوم على قراءة نصوص إبراهيم طوقان الشعرية قراءةً متأنية، مستعينا بأدوات النقد البلاغي والأسلوبي، ومستفيدا من الدراسات النقدية السابقة التي تناولت شعره، ولا سيما

دراسات إحسان عباس، عمر فروخ، زكي المحاسني ومحمد حسن عبد الله. كما يسعى البحث إلى تقديم تحليلات جديدة لبعض قصائده فى ضوء كتابات الأساتذة والأجلاء المذكورين آنفا.

المبحث الأول: حياة الشاعر إبراهيم طوقان

النشأة والبيئة الاجتماعية

ولد إبراهيم طوقان سنة ١٩٠٥م في نابلس(وهي مدينة كبيرة قديمة في فلسطين.فى عائلة مشهورة مكانة اجتماعية وسياسية واقتصادية منذ زمن طويل.نشأ في بيت يحب العلم والأدب ويهتم بالهوية الوطنية، فكان لذلك أثر كبير في شخصيته. [1]

تقول أخت شاعرنا فدوى طوقان عن أخيها: كان البيت فيه كتب ومجلات أدبية.وكان الأب يعلّمهم العربية والقرآن منذ الصغر.وكان إبراهيم يحب الشعر من صغره، ويحفظ القصائد بسرعة، وينشدها بصوت جميل[2].

ولم تكن طفولة ابراهيم سهلة. بل كان مريضا منذ الصغر، عانى ثلاث مشكلات: ضعف السمع، وقرحة المعدة، والتهابات الأمعاء.وهذه الأمراض أتعبته وأثّرت في تواصله وحركته.لكنها لم تضعف إبداعه، بل زادت قوته في التعبير وحسه بألم الناس[3].

المسيرة التعليمية وأثرها في تكوينه الأدبي

درس شاعرنا إبراهيم طوقان في المرحلة الابتدائية في المدرسة الرشادية في نابلس. وهذه المدرسة من أقدم المدارس الحكومية في فلسطين. وضع له هذا التعليم في البداية أساساً قوياً في اللغة العربية والدين الإسلامي، وفهمهما بشكل جيد. ثم ذهب إلى مدرسة المطران (سانت جورج) في القدس. وكان هذا الانتقال تغييراً مهماً في حياته الأدبية. هناك تعرف(ابراهيم) على الأديب والمعلّم نخلة زريق. وكان من أشهر معلّمي اللغة العربية في فلسطين في ذلك الوقت. فهم نخلة زريق موهبة(ابراهيم طوقان) تلميذه في الشعر في وقت مبكر. فبدأ يعمل على تطوير هذه الموهبة وتوجيهها. وشجعه على قراءة الكتب الأدبية والشعرية المهمة.وبإشرافه تعرف ابراهيم طوقان على دواوين الشعر العربي الكبيرة. فقرأ من المعلّقات إلى شعر العصر العباسي. وبذلك أصبحت ذائقته الأدبية أكثر نضجاً. وزاد حبه للغة العربية، وتعلّق بأسرارها البلاغية[4].

في سنة ١٩٢٣م التحق إبراهيم طوقان بالجامعة الأمريكية في بيروت. وبقي فيها ست سنوات من ١٩٢٣م إلى ١٩٢٩م.وخلال هذه الفترة عاش أجمل مراحل تطور فكره وشعره.وكانت بيروت عندئذ مركزاً ثقافياً وأدبياً نشيطاً. حيث كانت الأفكار الشرقية والغربية تلتقي فيها. وكانت فيها اتجاهات أدبية قديمة وحديثة معاً.هذه البيئة الجامعية ساعدته على التعرف على الأدب الإنجليزي والفرنسي. فقرأ أعمال شكسبير وبايرون وشيلي وكيتس. ووجد في الشعر الرومانسي الإنجليزي مشاعر قريبة من إحساسه وعاطفته[5].

أشار الناقد إحسان عباس إلى أن إقامة طوقان في بيروت كانت مرحلة مهمة جداً في تطوره الشعري. فقد قال إن إبراهيم طوقان خرج من نابلس وهو يميل إلى الأسلوب التقليدي، ثم دخل بيروت فأصبح أكثر تجديداً وانفتاحاً.وفي بيروت تعرف على أساليب شعرية جديدة مثل المقطوعة والقصيدة المقطعية. وقد أخذ هذه الأساليب من الشعر الإنجليزي، ثم استخدمها داخل الشعر العربي بشكل صحيح وأصيل[6].

عاد ابراهيم طوقان بعد تخرجه سنة ١٩٢٩ من الجامعة الأمريكية، إلى نابلس. وبدأ يدرس الأدب العربي في كلية النجاح الوطنية. وكان يرى أن التعليم ليس وظيفة فقط، بل هو رسالة لنشر اللغة العربية وزيادة الوعي الوطني.ثم انتقل سنة ١٩٣٠م إلى بيروت، ودرس في الجامعة الأمريكية هناك. وقد أحبه الطلاب ولقّبوه بـ"شاعر الجامعة". وفي بيروت كتب قصائد جميلة عن الحب والمشاعر الصادقة. وفي سنة ١٩٣٦م عاد إلى فلسطين، وعمل في إذاعة القدس أثناء الثورة الفلسطينية (١٩٣٦–١٩٣٩م). وكان يقدم من خلالها الشعر والأدب والموسيقى العربية. كما كان يدافع عن الهوية العربية ويقويها عبر الإعلام. وكان أول صوت عربي يسمع في هذه الإذاعة، وهذا جعله رمزاً مهماً في الإعلام العربي. وفي آخر حياته سافر إلى العراق ليعمل مدرساً لفترة قصيرة، لكن مرضه اشتد عليه، فاضطر إلى العودة مرة أخرى إلى فلسطين[7].

وفاته

رافقه المرض طوال حياته، وزاد في آخر السنوات.بعد عودته من العراق ساءت حالته كثيرا، فدخل المستشفى الفرنسي قرب بيت لحم.و توفي في مساء الجمعة٢ مايو ١٩٤١م. وكان عمره ٣٦سنة فقط وقالت فدوى عن أخيها:كان إبراهيم مصدر حب وشعر ووطنية.كان يملأ حياتنا بالجمال، رغم أنه كان يتألم بصمت[8].

المبحث الثاني: مكانة إبراهيم طوقان فى تاريخ الشعر الفلسطينى

يعدّ إبراهيم طوقان من أهم شعراء فلسطين؛ لأنّه عبر عن حب الوطن ومعاناة الشعب الفلسطيني في شعره. وقد رأى شوقي ضيف أنّ شعره وطني وصادق،[9] وقال عمر فروخ إنّه جمع بين الحب والقضية الوطنية[10]، أما إحسان عباس فأشار إلى قدرته على تحويل الألم إلى شعر مؤثّر[11]. لذلك أصبح شعره جزءا مهمًّا من الأدب والذاكرة الفلسطينية.

جوانب موضوعية لشعر إبراهيم

١: الشعر الوطني والمقاوم

يشكّل الشعر الوطني الرافد الأغزر والأهم في ديوان إبراهيم طوقان، وهو المحور الذي أكسبه شهرته الواسعة ومكانته الريادية في تاريخ الأدب الفلسطيني. وتتوزع قصائده الوطنية على عدة مستويات:

أ.شعر الاستشهاد والتمجيد:

قصائد تُخلّد ذكرى الشهداء وتُمجد تضحياتهم، كقصيدة "الثلاثاء الحمراء" (١٩٣٠م) التي كتبها إثر إعدام سلطات الانتداب البريطاني للشهداء الثلاثة: محمد جمجوم وعطا الزير وفؤاد حجازي

ب. شعر الاحتجاج والمقاومة:

قصائد تعبر عن الغضب الشعبي ضد الاستعمار البريطاني والمشروع الصهيوني، وتدعو إلى المقاومة والنضال. ومنها قصيدته "الفدائي" التي يصور فيها بطولة المقاتلين الفلسطينيين في مواجهة الاحتلال.

ج. شعر الحنين والشوق إلى الوطن:

وذروته نشيد "موطني" الذي يمزج بين الحنين العاطفي والمطالبة بالتحرر.

د. الشعر السياسي الساخر:

قصائد ينتقد فيها السياسيين العرب والعالميين بأسلوب ساخر، كقصائده في هجاء المندوب السامي البريطاني ورجال السياسة المتخاذلين.

ومن أبرز ملامح شعره الوطني كما أشار إليها الناقد زكي المحاسني:

أ .التصوير الصادق للأحداث السياسية والقومية دون مبالغة أو تزيين مصطنع، مما يمنح القصيدة طابعا توثيقيا يتجاوز القيمة الفنية إلى القيمة التاريخية.

ب .الشعور المتوقّد الذي يعطي القصيدة روح الإيمان والدعوة، كأن الشاعر قائد وطني لا مجرد ناظم. وهذا الشعور الصادق هو ما يميز شعر طوقان الوطني عن كثير من الشعر الحماسي المصطنع الذي ينظمه شعراء المناسبات.

ج . وضوح الأداء وسلاسته، مما جعل الجمهور يتفاعل مع شعره ويحفظه ويردده. فقصائد طوقان الوطنية لم تبق حبيسة الكتب والمجلات، بل انطلقت إلى الشارع والمنابر والإذاعات، وغدت جزءا من الذاكرة الجماعية الفلسطينية والعربية[12].

٢: الغزل والتجربة العاطفية

لم يكن إبراهيم طوقان شاعر وطن فحسب، بل كان شاعر حب وجمال أيضاً. وقد وصفه الدكتور عمر فروخ بأن شعره بلغ ثلاث ذرى متلازمة: "ذروة الحب، وذروة الشهوة، وذروة المشكلة الوطنية."[13]وتتمتع قصائده الغزلية برقّة الصياغة وعذوبة الوصف وصدق العاطفة، مما يجعلها نسيجا لغويا متميزا يوازن بين الشخصي والعام.

ومن أبرز قصائده الغزلية: "ملائكة الرحمة" التي نظمها إبراهيم طوقان وهو في المستشفى، و"أمام شباكها"، و"الهوى في السر"، و"ليلة في الميناء". وتتميز هذه القصائد بمزج فريد بين الغزل والتأمل، فالحب في شعر إبراهيم طوقان ليس مجرد تجربة عاطفية فردية، بل هو نافذة يطل منها على الحياة والوجود والمصير الإنساني.

ويلاحظ في غزل إبراهيم طوقان تأثّر واضح بالشعر العذري من جهة، وبالرومانسية الإنجليزية من جهة أخرى. فهو يجمع بين عفّة التعبير وحرارة الشعور، كما يجمع بين رقّة العذريين وعمق الرومانسيين. وقد أشار محمد حسن عبد الله إلى أن "غزل إبراهيم طوقان يمثّل نموذجا فريدا للغزل العربي الحديث الذي يتجاوز الوصف الحسي إلى التأمل الوجداني[14]."

٣: الشعر المعاناة الصحيةوشكوى المرض

أفرز مرض إبراهيم طوقان المزمن رافدًا شعريا ثالثًا من نوع خاص: شعر المعاناة والتأمل الوجودي. فقصائد "ملائكة الرحمة" و"الممرضة الروسية" و"نعمة العافية" و"الدم الخفيف" و"في المستشفى" و"رثاء الصحة" تشكّل فضاء شعريا فريدًا يُحول فيه الألم الجسدي إلى جمال أدبي.

ففي هذه القصائد تتحول غرفة المستشفى إلى منبر للتأمل في الحياة والموت والإرادة الإنسانية. ويكتسب المرض بعدًا رمزيا يتجاوز الألم الفردي ليعبر عن حالة وجودية أشمل: ألم الإنسان في مواجهة الفناء والضعف والقيد. ومن هذا المنظور، يمكن قراءة القصائد المحتوية على المعاناة الصحية وشكوى المرض عند إبراهيم طوقان بوصفها تعبيرا مجازيا عن حالة وطنه المريض المكبل بقيود الاحتلال وهكذا تجاوز الشاعر عن وصف معاناته و آلامه الى وصف معاناة وطنه فلسطين و مآسها وآلامها.

وفي قصيدة "ملائكة الرحمة" بالذات يتحول المستشفى إلى فضاء تأملي وجمالي، إذ يصور الشاعر الممرضات على أنهن "رسائل رحمة من الله"، ويكتشف في عنايتهن بعدًا إنسانيا يتجاوز العلاقة المهنية. وقد لاحظ إحسان عباس أن هذه القصيدة تكشف عن "قدرة مذهلة على إنتاج الجمال في أشد لحظات الضعف الإنساني"[15].

٤ :الشعر الاجتماعي والتعليمي

إلى جانب المحاور المذكورة آنفا، نظم إبراهيم طوقان عددا من القصائد ذات الطابع الاجتماعي والتعليمي.ومن هنا لم يقتصر شعره على الجانب الوطني فحسب، بل غاص في عمق القضايا الاجتماعية، ناقداً ومصوراً لأحوال المجتمع الفلسطيني والعربي في عصره. فاتسم شعره الاجتماعي بالصراحة، والتهكم أحياناً، والتركيز على قضايا التعليم، والأخلاق، والظروف المعيشية.وفيما يلى أبرز أمثلة الشعر الاجتماعي لإبراهيم طوقان:

1. انتقاد مهنة التعليم (المعلم والمجتمع)

أبرز مثال لشعره فى انتقاد مهمة التعليم هو رده الشهير على قصيدة أحمد شوقي "قم للمعلم"، حيث عكس طوقان الصورة المثالية للمعلم ليصورها كمهنة شاقة ومنهكة، وذلك في قصيدة (رد على شوقي):

لَوْ جَرَّبَ التعليم شوقي ساعةً ... لَقَضَى الحياةَ شقاوةً وخُمولا

حسبُ المعلّمِ غُمَّةً وكآبةً ... مرأى الدفاترِ بكرةً وأصيلا

مئةٌ على مئة وإن هي صححت ... وجد العمى إلى العيون سبيلا[16]

2. تسليط الضوء عَلى الطبَقيةً وَالفقَر

تناول إبراهيم طوقان التفاوت الاجتماعي وظروف الفقراء، في قصيدته "ملائكة الرحمة" والتي تصور واقعاً اجتماعياً، وله قصائد أخرى تفضح عجز الناس عن توفير أساسيات الحياة[17].

المحسنات إلى المريض غدون أشباهاً لهنَّه الرَّوض كالمستشفيات ، دواؤها إيناسهنَّه

ما الكهرباء وطبِّها بأجلٍ من نظراتهنَّه يشفي العليل عناؤهنَّ وعطفهنَّ ولطفهنَّه[18]

3. انتقاد العادات والتقاليد (الاجتماعيات)

استخدم إبراهيم طوقان أسلوباً تهكمياً لانتقاد سلوكيات اجتماعية محددة، مثل التباهي الكاذب، أو بعض العادات التي تقيد الحرية أو تضر بالصحة العامة، مركزا على التناقض بين القول والفعل.

عجباً لقومي مقعدين ونوماً وعدوهم عن سحقهم لا ينثني

عجباً لقومي كلهم بكْم ومن ينطق يقل يا ليتني ولعلني[19]

4. تربية الشباب ودورهم الاجتماعي

في قصيدة "الشباب أمل الغد" (أو مجد البلاد)، حث طوقان الشباب على النهوض بالمجتمع، مشبهاً إياهم بالشجر الذي يجب أن يثمر للوطن، وهو دعوة للتغيير الاجتماعي والاعتماد على النفس[20].

قالوا الشباب . . فقلت سيف باتر وإذا تثقف كان صافي المعدن

مرحى لشبان البلاد اذا غدا كل بغير بلاده لم يفتن[21]

5. وصف أحوال الناس في الحروب

وثق طوقان الآثار الاجتماعية للحروب والاستعمار على الناس، مثل قصيدة "ذكرى حمية أهل الشام". تميزت هذه القصائد بصدق العاطفة، ونقل صورة واقعية دقيقة، مما جعل شعره الاجتماعي وثيقة تاريخية واجتماعية[22]

مات في ميعة الشباب شهيداً وكذا الحر لا يموت اكتهالا

في سبيل الاوطان سالت دماه ذي المعالي فَلْيعلُون من تعالى[23]

وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارا واسعا في العالم العربي، وأصبحت جزءا من المناهج الدراسية في عدد من الدول العربية. وهي تكشف عن إيمان إبراهيم طوقان العميق بدور التعليم في بناء الأمم وتحرير الشعوب. ومن المفارقات اللافتة أن إبرا هيم طوقان كان معلّما بالمهنة، فجاءت هذه القصيدة تعبيرا صادقًا عن تجربة معاشة لا عن تأمل نظري.[24]

وقد أشار الدكتور شوقي ضيف إلى أن هذه القصيدة "ترتبط بالتيار الاجتماعي في الشعر العربي الحديث الذي يسعى إلى أن يكون الشعر أداة للإصلاح والتنوير.[25]"

الخصائص الفنية والأسلوبية لشعر إبراهيم

تتميز تجربة إبراهيم طوقان الشعرية بخصائص فنية وأسلوبية جعلت شعره يجمع بين الأصالة والتجديد في آن واحد. فقد حافظ على ارتباطه العميق بالتراث الشعري العربي، مع سعيه إلى تطوير البناء والإيقاع واللغة بما ينسجم مع قضايا عصره وهموم شعبه. ولهذا عدَّ شعره نموذجا مميزا في الشعر الفلسطيني الحديث، يجمع بين قوة التعبير، ووضوح الأسلوب، وصدق الشعور.

١ :الأصالة والاتصال بالتراث الشعري العربي القديم

بدأ إبراهيم طوقان في كتابة شعره اعتماداً على التراث الشعري العربي القديم. وكان يعرف جذوره التراثية جيداً ويفتخر بها، وفي الوقت كان نفسه يؤمن بضرورة التجديد في الشعر.وقد تأثر بشكل واضح بشعراء العصر العباسي، وخاصة بأبي نواس (الحسن بن هانئ). فقد أعجبه أسلوبه في خفة التعبير، وروح الدعابة، والسخرية اللطيفة. ويظهر هذا التأثر في قصائد إبراهيم طوقان الاجتماعية التي يسخر فيها من بعض أوضاع المجتمع العربي وينتقدها. ومن أمثلة ذلك قصيدته "يا عم إبراهيم"، حيث يظهر فيها أسلوب ساخر يشبه أسلوب أبي نواس في التمرد على العادات والأساليب التقليدية.(26)

كان أبو تمام (حبيب بن أوس) من الشعراء الذين تأثر بهم إبراهيم طوقان أيضاً. فقد أعجبه أسلوبه في القوة في التعبير، ووضوح المعنى، وترابط الألفاظ. كما كان إبراهيم طوقان يميل مثل أبي تمام إلى استخدام كلمات قليلة تحمل معاني كثيرة. وكان كذلک يستخدم أسلوب المفارقة في التعبير، مما يعطي النص أكثر من معنى ويجعل فهمه أعمق.وكذلك تأثر بالمتنبي (أحمد بن الحسين). فقد أخذ منه روح الحماسة، والفخر، والاعتزاز بالهوية. ويقول الناقد عمر فروخ إن إبراهيم طوقان يستحضر روح المتنبي في قصائده الوطنية. ففي هذه القصائد تصبح القصيدة خطاباً موجهاً إلى الأمة، يدعوها إلى القوة، والنهوض، والمقاومة.(27)

التزم شاعرنا إبراهيم طوقان بعمود الشعر العربي من حيث الوزن والقافية، الأمر الذى جعل شعره قوياً ومنظماً، وله موسيقى جميلة ترتاح لها الأذن عند سماعها.ومن المهم أنه لم يستخدم الشعر الحر أو شعر التفعيلة الذي بدأ في الظهور في أربعينيات القرن العشرين على يد نازك الملائكة وبدر شاكر السياب. بل اختار أن يجدد شعره من داخل الشكل القديم نفسه، وليس بالخروج عنه.كما كان للقرآن الكريم أثر كبير في تقوية لغته وبناء أسلوبه البلاغي. فقد كان يقرأ القرآن كاملاً في كل شهر رمضان، ويتأمل أساليبه البلاغية ونظمه المميز. وهذا جعله يكتسب فصاحة واضحة، وترابطاً في الأسلوب، وعمقاً في المعاني.ويظهر في شعره تأثر واضح بالقرآن، حيث كان يستخدم بعض التراكيب والعبارات القرآنية في سياقات جديدة. الأمر الذى يعطي شعره بعداً روحياً ومعنى أعمق ويظهر تأثر الشاعر إبراهيم طوقان بالقرآن الكريم بوضوح في لغته وأسلوبه؛ فقد استعار كلمات قرآنية مثل (اللوح، المشيئة، المسطر) ليمنح شعره قوةً وهيبة. هذا التأثر جعل جملته الشعرية فصيحة، واضحة المعنى، ومترابطة بشكل قوي يصعب تفكيكه، مما أعطى قصائده طابعاً من الثبات والجمال اللغوي.(28)

٢ : التجديد في البنية والإيقاع

لم يكتف إبراهيم طوقان بالمحافظة على الموروث الشعري، بل أبدع في التجديد من داخل القصيدة الكلاسيكية، وهو ما يجعله في تقدير كثير من النقّاد يمثّل نموذجا فريدا للتجديد الأصيل الذي لا يقطع علاقته مع التراث بل يتجاوزه من داخله.تتجلى أبرز مظاهر هذا التجديد فيما يلى:

أ. **البنية المقطعية** :تبنى طوقان نظام المقطوعات (Stanzas) المستلهم من الشعر الإنجليزي، وطبقه على القصيدة العربية بمهارة فائقة. وقد لاحظ الناقد إحسان عباس أن طوقان "أخذ طابع المقطوعات عن شعراء إنجلترا"[29]، فأصبح شعره يبنى على شكل مقاطع صغيرة وواضحة، وكل مقطع له معنى كامل. وهذا جعل شعره سهل الغناء، وسهل أن يردده الناس معاً.ولم يكن هذا الأسلوب صدفة، بل كان مقصوداً. لأن الشعر الوطني يحتاج أن يكون سهلاً، حتى يستطيع الناس حفظه وإنشاده ونشره بين الجميع[30].

ب. **زيادة الشطر الخامس**: ومن أبرز تجديدات إبراهيم طوقان في الإيقاع أنه أضاف الشطر الخامس في قصيدة "الثلاثاء الحمراء". وهذا جعل الإيقاع يرتفع ويقوى، ويعبر عن التوتر والغضب الوطني.وهذا الخروج عن الوزن الشعري المعتاد لم يكن بلا هدف، بل كان له وظيفة واضحة. فالشطر الخامس يأتي كأنه صرخة قوية تكسر الإيقاع المعروف، وتفاجئ القارئ.وهذا يشبه تماماً الحدث نفسه، وهو إعدام الشهداء الثلاثة، الذي فاجأ الشعب الفلسطيني وأحدث صدمة كبيرة فيه.[31]

ج. التنويع النغمي : في نشيد "موطني" استخدم طوقان تنويعاً في النغمة بين مقاطع فيها حنين ورقّة، ومقاطع فيها حماس وثورة. فكأن القصيدة تتنقل بين الشوق والاحتجاج.وهذا التنويع جعل النشيد مناسباً جداً للتلحين. لذلك قام الموسيقار اللبناني محمد فليفل بتلحينه عام ١٩٣٤م. وأصبح هذا اللحن جزءاً ثابتاً من الذاكرة الموسيقية عند العرب.[32]

٣ :الوضوح والبساطة في مواجهة الغموض

من أهم صفات شعر إبراهيم طوقان أنه كان قريبا من مشاعر الناس عامة. فقد كان يفضّل الوضوح على الغموض، والصورة المباشرة على الرمز الصعب، والكلام السهل على الألفاظ المعقدة. ولهذا انتشر شعره بين الناس جميعا، سواء من عامة الناس أو من المثقفين. وهذا ما جعله مختلفاً عن كثير من شعراء عصره الذين اتجهوا إلى الغموض والتجريد . يقول إحسان عباس في هذا المعنى إن "بساطته الواضحة أعطت الشعراء اللاحقين مجالاً للغموض"[33]، ومعنى هذا أن إبراهيم طوقان وضع نموذجا واضحا للشعر، ثم جاء غيره فابتعدوا عن هذا الوضوح.

٤ :الصورة الشعرية وتقنيات البيان

كان يوظّف إبراهيم طوقان الصورة الشعرية توظيفاً موحيا ومحكما، مستفيداً من تقنيات البيان العربي المتنوعة: التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل. وتتميز صوره بالحيوية والحركة والارتباط الوثيق بالواقع المعاش، فهو لا يلجأ إلى الصور المجردة المنقطعة عن التجربة الإنسانية، بل يستمدّ صوره من الطبيعة الفلسطينية وتفاصيل الحياة اليومية.

ففي قصيدة "الثلاثاء الحمراء" يكتب ابراهيم :

ناح الأذانُ وأعولَ الناقوس فالليل اكدر والنهار عبوس[34]

فنجد في هذا البيت تكثيفاً بلاغيا مدهشاً: فالأذان (رمز الإسلام) والناقوس (رمز المسيحية) يجتمعان

في فعل واحد هو "النوح والعويل"، مما يعبر عن الوحدة الوطنية في مواجهة العدو المشترك. واستخدام الفعلين "ناح" و"أعول" وكلاهما من حقل الحزن والألم يُحول الرمزين الدينيين إلى كائنين إنسانيين يتألمان ويبكيان، وهي استعارة مكنية بالغة التأثير يجسد البيت الوحدة الوطنية عبر "أنسنة" الرموز الدينية (الأذان والناقوس) واشتراكها في الألم والمصير المشترك.(35)

وفي قصيدة "موطني" تتكاثف الصور بين الطبيعة الفلسطينية والوجع الإنساني، لتنتج عملًا شعريا يتجاوز الحدود الزمنية والجغرافية. فحين يقول:

هَلِ أَراك
سالمًا مُنعَّمًا وغانمًا مُكَرَّمًا(36)

فإنه يُجسد الوطن في صورة إنسانَ عزيز مفتقدَ، ويُحمل الطبيعة (الربا، النار، الأفق) دلالات وطنية وعاطفية تتجاوز وظيفتها الوصفية المباشرة.(37)

٥:السخرية والفكاهة الأدبية

من الجوانب التي لم يهتم بها النقاد كثيرا في شعر طوقان: قدرته على السخرية والفكاهة. فإلى جانب قصائده الوطنية الجادة وقصائد الغزل الجميلة، وانه نظم أيضا قصائد ساخرة ينتقد فيها بعض المشاكل الإجتماعية والسياسة بطريقة فكاهية قوية ومؤثرة.ومن أشهر هذه القصائد: "الفدائي" و"من أنا؟" و"فلان الفلاني". وفي هذه القصائد استخدم إبراهيم طوقان المفارقة والسخرية اللطيفة كوسيلة للنقد الاجتماعى.وتظهر هذه القصائد أن الشاعر كان يملك وعيا اجتماعيا قويا، وكان قادرا على ملاحظة التناقضات والمشاكل الموجودة في الواقع العربي. وقد لاحظ الناقد زكي المحاسني أن "طوقان كان يمتلك ذكاء ساخرا لم يوظّفه بالقدر الكافي، ربما بسبب انشغاله الدائم بالهم الوطني."(38)

نماذج تحليلية من شعره

النموذج الأول: من قصيدة "موطني": النشيد الذي عبر الحدود

نظم إبراهيم طوقان قصيدة "موطني" سنة ١٩٣٤م، فأصبحت نشيدا وطنيا غير رسمي لفلسطين، ثم اعتمدها العراق نشيدا وطنيا رسميا بعد سنة ٢٠٠٣م. وهذا يدلّ على قوة القصيدة وقدرتها الكبيرة على التعبير، لأنها لم تعبر فقط عن مشاعر الشعب الفلسطيني، بل استطاعت أيضا أن تعبر عن آلام وآمال شعب آخر في وقت مختلف.والقصيدة تبدأ بمشاعر الحب والحنين إلى الوطن، ثم تنتقل تدريجيا إلى الدعوة إلى الحرية والكرامة. ويبدأ الشاعر القصيدة بقوله:

موطني • موطني • الجلال والجمال • والسناء والبهاء • في رباك • في رباك

وتكرار كلمة ‘‘موطني’’ في بداية القصيدة ليس مجرد تكرار عادي، بل يظهر شدة حب الشاعر لوطنه، ويجعل القارئ يشعر بالشوق والانتماء. وهذا التكرار أيضا يعطي القصيدة نغمة جميلة تشبه الأناشيد

الجماعية.واستخدم الشاعر كلمات مثل: ''الجلال، الجمال، السناء، البهاء'' ليصف عظمة الوطن وجماله. فهذه الكلمات تعطي الوطن مكانة عالية وكأن له قيمة مقدسة، وليس مجرد مكان نعيش فيه.وتتميز القصيدة أيضا بموسيقى جميلة ومتنوعة، ففي بعض المقاطع يكون الإيقاع سريعا وقويا ليعبر عن الحماس، وفي مقاطع أخرى يكون هادئا ليعبر عن التأمل والحنين. وقد استفاد الموسيقار محمد فليفل من هذا التنوع عندما لحن القصيدة، فجاء اللحن مليئا بالحماسة والمشاعر، ولذلك أثّر بقوة في الناس(39)

النموذج الثانى من قصيدة "الثلاثاء الحمراء":

نظم إبراهيم طوقان هذه القصيدة سنة ١٩٣٠م بعد إعدام الشهداء الثلاثة :محمد جمجوم، عطا الزير، فؤاد حجازي على يد سلطات الانتداب البريطاني، وذلك يوم الثلاثاء ١٧ يونيو ١٩٣٠م. وقد كانت القصيدة مليئة بالغضب والحزن في الوقت نفسه، وتعدّ من أفضل قصائد الشعر الوطني الفلسطيني في تلك الفترة.

وتتحرك القصيدة في ثلاثة مستويات مترابطة:

المستوى الأول هو المستوى التوثيقي، وفيه يسجل الشاعر الحدث التاريخي وتفاصيله، مثل يوم الإعدام وأسماء الشهداء وموقف الناس من الحادثة.والمستوى الثاني هو المستوى العاطفي، وفيه يعبر الشاعر عن الحزن والغضب الذي شعر به الناس جميعا.أما المستوى الثالث فهو المستوى الرمزي، وفيه يجعل الشاعر هذه الحادثة رمزا عاما للظلم والمقاومة، وليس مجرد حادثة تاريخية محددة.

ويقول الشاعر:

ناح الأذانَ وأعولَ الناقوس

يوضح الشاعر في هذا البيت وحدة المسلمين والمسيحيين ضد الظلم والاحتلال من خلال استخدام كلمتي "الأذان" و"الناقوس". كما يعبر عن شدة الحزن وتدرجه باستخدام كلمة "أعول" بعد "ناح" ليظهر كيف ازداد البكاء وأصبح أشد قوة،ومن الناحية الفنية، جدد الشاعر "إبراهيم طوقان" في بناء القصيدة بإضافة شطر خامس غير مألوف في الشعر التقليدي، مما جعل الإيقاع أقوى وأكثر تأثيراً لمناسب تصاعد المشاعر بقوة وقت الاستشهاد، ثم هدوءها وتحولها إلى حزن عميق بعد ذلك.(40)

النموذج الثالث من قصيدة "ملائكة الرحمة": الجمال في قلب المعاناة

نظم إبراهيم طوقان هذه القصيدة وهو في مستشفى بيروت يتعالج من قرحة في المعدة. وفي هذه القصيدة حول ألمه الجسدي إلى تجربة جميلة مليئة بالتأمل، فصور الممرضات كأنهن رحمة من الله. وتكشف القصيدة جانبا آخر من شخصية الشاعر، وهو قدرته على صنع الجمال حتى في أوقات المرض والضعف.

وتدور قصيدته حول ثلاثة محاور مترابطة:

المحور الأول هو الألم الجسدي وما فيه من مرض وتعب.والمحور الثاني هو جمال المرأة الذي يظهر في صورة الممرضات وما يحملنه من رحمة واهتمام.أما المحور الثالث فهو التأمل في الحياة والوجود.وقد نجح الشاعر في

الجمع بين هذه المحاور الثلاثة بطريقة متوازنة، فلم يسيطر جانب على جانب آخر، بل اجتمعت كلها في بناء شعري واحد أعطى القصيدة جمالًا خاصا. ويظهر في القصيدة أيضا استعمال كلمات تنتمي إلى مجالين مختلفين ومتقابلين. فهناك كلمات تدل على الألم مثل: المرض، الأنين، والضعف. وهناك كلمات تدل على الجمال والراحة مثل: الملائكة، الرحمة، والنور.وهذا التباين بين الألم والجمال هو الذي أعطى القصيدة قوة كبيرة في التعبير، لأن الشاعر أظهر كيف يمكن أن يولد الجمال من داخل المعاناة، مثلما تخرج الزهرة من الصخر[41].

النموذج الرابع من قصيدة "الفدائي": بين البطولة والتراجيديا

هذا النموذج من القصيدة الوطنية المهمة التي لم تُدرس بشكل كاف قصيدة والتى جاءت بعنوان: ''الفدائي؛؛. وفي هذه القصيدة يصور طوقان المقاتل الفلسطيني الذي يضحي بحياته من أجل الدفاع عن وطنه وأرضه. وتتميز القصيدة بأنها تجمع بين البطولة والحزن الإنساني. فالفدائي في القصيدة ليس مجرد مقاتل فقط، بل هو إنسان له مشاعر وأحلام وأسرة يحبها، لكنه يترك كل ذلك ويقدّمه فداء للوطن.وتعتمد القصيدة على أسلوب يشبه القصة، إذ يروي الشاعر حياة الفدائي منذ خروجه من بيته حتى لحظة استشهاده. وهذا الأسلوب السردي يجعل القصيدة أكثر حركة وتأثيرا، ويجعل القارئ يشعر بقرب الشخصية ويتفاعل معها كما يتفاعل مع شخصيات الروايات والقصص.[42]

النموذج الخامس من قصيدة "لا تسل عن سلامته": الرثاء الوطني

نظم طوقان هذه القصيدة في رثاء أحد شهداء المقاومة الفلسطينية، التى تَعدّ من أجمل وأرقّ قصائد الرثاء في الشعر العربي الحديث. ويبدأ الشاعر هذه القصيدة بقوله:

لا تَسل عَن سَلامَته • رُوحه فَوق راحَته[43]

وفي هذا المطلع معنى مؤثر وعميق. فالشاعرَ يقول: لا تسأل هلَ الشهيد سالم أو لا، لأن الشهيد وصل إلى مرتبة أعلى من سلامة الجسد، وهي سلامة الكرامة والشرف والتضحية.وفي قول الشاعر: ''روحه فوق راحته'' صورة جميلة تدل على أن الشهيد كان مستعدا للتضحية بحياته دون خوف أو تردد. فكأنه يحمل روحه بيده ويقدّمها بسهولة من أجل وطنه ومبادئه.وفي عنوان القصيدة أيضا مفارقة مؤثرة، لأن الإنسان عادة يسأل عن السلامة بسبب الخوف والقلق، لكن الشاعر هنا يطلب ألّا نسأل عن ذلك، لأن الشهيد اختار طريق التضحية بإرادته وقناعته. [44]

خاتمة البحث

يتبين في نهاية هذه الدراسة أن إبراهيم طوقان لم يكن فقط شاعرا يكتب مشاعره الخاصة، بل كان شخصية أدبية كبيرة ومؤثرة.فهو جمع بين الموهبة الطبيعية، والثقافة الواسعة، والحب العميق لوطنه، إضافة إلى إحساس إنساني صادق ورقيق.ورغم أنه توفي وهو شاب في عمر ٣٦ سنة، وعانى كثيرا من المرض، إلا أنه ترك أثرا مهما في الأدب الفلسطيني والعربي.وجعل من الشعر وسيلة للتعبير عن حب الوطن، والمقاومة، ونشر الوعي والجمال، ولذلك بقي اسمه مهما ومؤثرا في تاريخ الأدب.

المصادر والمراجع

[1] فدوى طوقان، أخي إبراهيم، مقدمة ديوان إبراهيم طوقان (بيروت: دار العودة، ١٩٨٨)، ص ٧—١٢.

[2] فدوى طوقان، أخي إبراهيم، مقدمة ديوان إبراهيم طوقان ،ص ١٣—١٨.

[3] المرجع نفسه

[4] محمد حسن عبد الله، إبراهيم طوقان: حياته ودراسة فنية في شعره، (الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢)،ص ٣٥—٤٢.

[5] إحسان عباس، نظرة في شعر إبراهيم طوقان، مقدمة ديوان إبراهيم طوقان (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٩٣)، ص ١٥.

[6] المرجع نفسه،ص ١٧.

[7]زكي المحاسني، إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب (بيروت: دار العودة، ١٩٥٦)،ص ٨٥—٩٢.

[8] فدوى طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة (عمان: دار الشروق، ١٩٨٥)، ص ٦٧.

[9] سوافيرى، كامل ، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، (دار المعارف، مصر) ص ١٢٥

[10] عمر فروخ، شاعران معاصران: طوقان والشابي (بيروت: منشورات المكتبة العلمية، ١٩٥٤)، ص ٧٨.

[11] احسان عباس، نظرة في شعر إبراهيم طوقان، ص ٢٨.

[12] زكي المحاسني، إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب، ص ١٠٠،٩٥.

[13] عمر فروخ، شاعران معاصران، ص ٧٨.

[14] محمد حسن عبد الله، إبراهيم طوقان، ص١٥٠.

[15] إحسان عباس، "نظرة في شعر إبراهيم طوقان"، ص٢٨.

[16]إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت)،ص١٦٧

[17] المرجع السابق، ص ٤٩

[18]المرجع السابق نفسه

[19] المرجع السابق، ص ٥٧

[20] المرجع السابق نفسه، ص ٥٨

[21] المرجع السابق نفسه، ص ٥٧

[22] المرجع السابق نفسه، ص ٥١

[23] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٥١—٥٢

[24] إبراهيم طوقان، ديوان إبراهيم طوقان،ص ٢٠٠ —٢٠٣

[25] شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في فلسطين (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٦١)، ص ١٤٥.

[26] عمر فروخ، شاعران معاصران: طوقان والشابي ، ص ٤٥.

[27] المرجع نفسه،ص ٥١—٥٣.

[28] محمد حسن عبد الله، إبراهيم طوقان، ص ٩٨—١٠٥

[29] إحسان عباس، نظرة في شعر إبراهيم طوقان،ص ٢٢.

[30] المرجع نفسه

[31] إحسان عباس، نظرة في شعر إبراهيم طوقان، ص ٢٢

[32] زكي المحاسني، إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب، ١١٠

[33] إحسان عباس، نظرة في شعر إبراهيم طوقان، ٢٥.

[34] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٤٠

[35] إبراهيم طوقان، ديوان إبراهيم طوقان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣)، ١٤٥—١٥٠

[36] إبراهيم طوقان ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٦٤

[37] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٦٤

[38] زكي المحاسني، إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب، ١٢٥

[39] زكي المحاسني، إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب، ١١٢—١١٥

[40] إحسان عباس، "نظرة في شعر إبراهيم طوقان"، ٣٠.

[41] إحسان عباس، نظرة في شعر إبراهيم طوقان، ٣٠.

[42] محمد حسن عبد الله، إبراهيم طوقان، ١٣٥—١٤٠.

[43] https://www.aldiwan.net/poem33066.html

[44] إبراهيم طوقان، ديوان إبراهيم طوقان، ١٧٠.